كتاب الصفات

للإمام الدارقطني

أعيد النظر فيه للمرة الثانية وأضيف إليه بعض التحقيقات والتعليقات

الفضيلة الشيخ

عبد الله بن محمد الغنيمان

أستاذ الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية سابقاً

المدينة المنورة

بسم الله الرحمن الرحيم ـ وبه ثقتي

الحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله وسلَّم على من بعثه الله هادياً إليه، محمد رسول الله صلَّى الله عليه وآله وصحبه وسلَّم.

وبعد: فإن من أنفع ما يقرأ طالب العلم بعد كتاب الله تعالى وأحاديث رسوله ﷺ كتب علماء السلف، وهي لا تخرج عن كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ، ومن أهم كتب علماء السلف ما كتبوه دالين فيه على الله تعالى بذكر أسمائه وأوصافه وما يلزم من حقوقه على العباد.

ومن هذا النوع كتاب الصفات للإمام الدارقطني الذي نقدمه للقراء راجين من الله أن ينفع به في طبعته الثالثة... مضافاً إليها بعض التعليقات المهمة.

وهذه ترجمة موجزة للمؤلف الإمام أبو الحسن الدارقطني ـ رحمه الله تعالى ـ.

اسمه ونسبه:

هو علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار بن عبد الله أبو الحسن[١].

والدارقطني - بفتح الدال وسكون الطاء المهملة - نسبة إلى «دار القطن» محلة كبيرة كانت في بغداد[٢].

ولد رَحِمَهُ اللَّهُ سنة ست وثلاثمائة، اجتهد في طلب العلم من صغره ووهبه الله ذكاء وحفظاً قلَّ أن يوجد في أحد، فكان ذلك من أسباب نبوغه، وقد أدرك مراده أو جله، وقد طوَّف كثيراً من البلاد لطلب العلم، فصار إمام أهل زمانه في علم الأثر ومعرفة علل الحديث ورجاله.

سمع في بغداد الكثير، وغيرها من مدن العراق؛ كالكوفة والبصرة وواسط، ورحل إلى الشام، ومصر، وكثر شيوخه جداً، من قرأ كتبه عرف ذلك[٣].

قال الخطيب: كان فريد عصره، وقريع دهره،

---

(١) تاريخ بغداد ١٢/ ٣٤ وذكر له ترجمة مطولة.
(٢) اللباب ١/ ٤٨٣؛ والمنتظم ٧/ ١٨٤.
(٣) انظر: النجوم الزاهرة في أحداث سنة ٣٨٥هـ.

ونسيج وحده، وإمام وقته، انتهى إليه علم الأثر، والمعرفة بعلل الحديث، وأسماء الرجال، وأحوال الرواة، مع الصدق والأمانة، والفقه والعدالة، وقبول الشهادة وصحة الاعتقاد، وسلامة المذهب، والاضطلاع بعلوم سوى علم الحديث[١].

وهذا غاية في المدح والثناء.

ومدحه الذهبي كثيراً في السير[٢].

قال ابن الجوزي وذكر سنده إلى العشاري قال: تُوفي الدارقطني آخر يوم الثلاثاء سابع ذي القعدة سنة خمس وثمانين وثلاثمائة، ودفن في مقبرة معروف يوم الأربعاء، وكان مولده لخمس خلون من ذي القعدة سنة ست وثلاثمائة، فكان عمره تسع وسبعون سنة ويومان[٣].

خلَّف مصنفات كثيرة نافعة، مثل: السنن، والعلل، والمؤتلف والمختلف، وغيرها، رحمه الله تعالى.

---

(١) تاريخ بغداد ١٢/ ٣٤.
(٢) انظر: سير أعلام النبلاء ١٦/ ٤٤٩.
(٣) المنتظم ٧/ ١٨٤.

كتاب الصفات

هو كتاب نفيس يعتمد على الأثر، من النص من كلام الله تعالى ومن كلام رسوله ﷺ على طريقة السلف الصالح الذين سلموا من تحريفات الجهمية ومن تبعهم، ومن تشكيكات المتكلمين أهل التكلف والانحراف.

وقد اقتصر فيه على ذكر بعض الصفات، ليبيِّن النهج السليم فيها، ولأن القول في بعضها قول في الكل إذ الباب واحد، ولأن الواجب على العبد التسليم للنصوص، والانقياد لها، بدون معارضة برأي أو معقول، مع أن النصوص الصحيحة عن الله، أو عن رسوله ﷺ لا تخالف العقول السليمة من الانحراف والتغير، ولكن الهداية والتوفيق بيد الله تعالى يمنُّ بها على من يشاء من عباده، فعلى العبد أن يطلبها من ربه، لا من عقله أو شيخه.

ثبوت الكتاب للدارقطني رحمه الله:

إذا أكثر الإنسان من قراءة كتب أحد العلماء، فإنه يتبين له أسلوبه وطريقته في التأليف والاستدلال، وغير ذلك، فإذا أضيف إليه كتاب ليس من تأليف يتضح ذلك جلياً ولا يخفى على طالب نبيه مثل ذلك، وهذا الكتيب مما لا يخفى أنه للإمام الدارقطني، ومما يبين ذلك:

١ ـ انتشاره بين العلماء، والشهرة في الكتب وتلقيها من قبل العلماء يغني عن روايتها بالسند، والغالب أن جمهور العلماء إذا ظهر كتاب اشتغلوا بنقله واقتنائه ولم يهمهم كثيراً روايته بالسند، وعلى هذا غالب كتب العلماء.

٢ ـ قد نصَّ على هذا الكتاب بعض العلماء مضيفاً له إلى الدارقطني وناقلاً منه مثل الذهبي في كتاب (العلو ١٧١) وروى عنه بسنده في ص٥٧، وأشار إليه شيخ الإسلام ابن تيمية في (درء تعارض العقل والنقل ٧/ ١٠٩).

٣ ـ وضع الكتاب وأسانيده تدل دلالة واضحة على أنه للدارقطني.

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلَّى الله على سيدنا محمد وآله [وصحبه وسلم][1]، ولا حول ولا قوة إلا بالله، قرأت[2] على الشيخ الإمام الحافظ أبي الحسن علي بن معالي بن أبي عبد الله الرصافي، يوم الخميس أول ربيع الآخر: سنة أربع وأربعين وستمائة.

قلت: أخبركم الشيخ أبو محمد، عبد الخالق[3] بن عبد الوهاب ابن الصابوني، قراءة عليه وأنت تسمع، في ذي القعدة من سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة.

---

(١) ليست في المخطوطة وزدتها لأن المقام يقتضيها.

(٢) الضمير يعود إلى عبد الله بن أحمد بن محمد المقدسي.

(٣) عبد الخالق بن عبد الوهاب، ولد سنة سبع وخمسمائة، وتوفي سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة، ترجمه في التكملة ٢/ ٥٩، والعبر ٤/ ٢٧٩.

قال: أخبرنا أبو... العز أحمد بن[١] عبيد الله بن كادش، قراءة في صفر، سنة تسع عشرة وخمسمائة.

قال: أخبرنا أبو طالب محمد[٢] بن علي بن الفتح بن محمد بن الفتح، المعروف بالعشاري، في ربيع الأول سنة خمسين وأربعمائة.

قال: أخبرنا الشيخ أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي، الحافظ الدارقطني قال:

إثبات القدمين لله تعالى

١ ـ [حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز، إملاءً من لفظه، حدثنا عبيد الله بن عمر القواريري][٣] حدثنا حرمي بن عمارة قال: حدثنا شعبة، عن قتادة، عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**يُلقى في النار وتقول: هل من مزيد؟ حتى يضع رجله [فيها][٤]، أو**

---

(١) كانت وفاته سنة ست وعشرين وخمسمائة. انظر: شذرات الذهب ٤/ ٧٨.

(٢) كانت وفاته إحدى وخمسين وأربعمائة. انظر: شذرات الذهب ٣/ ٢٨٩.

(٣) ما بين المعقوفين سقط من الأصل واستدركته من النسخة المختصرة.

(٤) سقط من الأصل واستدركته من المختصر.

قدمه، فتقول: قط قط»[١].

٢ ـ حدثنا محمد بن مخلد بن حفص[٢]، حدثنا محمد بن إسحاق الصاغاني[٣]، وحدثنا محمد بن عبد الله بن إبراهيم، حدثنا أبو قبيصة محمد بن عبد الرحمٰن بن عمار بن القعقاع، والحسين بن شاكر، قالوا:

حدثنا عبد الله، حدثنا حرمي بن عمارة، حدثنا شعبة عن قتادة، عن أنس رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ ـ أنه قال: «**يُلقى في النار وتقول: هل من مزيد؟ حتى يضع رجله فيها، أو قال: قدمه، فتقول: قط قط**»[٤]

---

(١) أخرجه البخاري في التفسير رقم (٤٨٤٨) وفي التوحيد رقم (٦٦٦١، ٧٣٨٤)؛ ومسلم في صفة الجنة والنار رقم (٢٨٤٨) وفيه إثبات صفة القدم والرِّجل لله تعالى وهي صفة ثابتة لله تعالى في نصوص كثيرة، فيجب الإيمان بها على ما يليق بعظمة الله تعالى.

(٢) محمد بن مخلد العطار الدوري سمع الحسن بن عرفة وسلم بن الحجاج، وكان ثقة فهماً واسع الرواية مشهوراً بالعبادة. انظر: تاريخ ابن كثير ٦/ ٢٢٠ طبعة الريان.

(٣) ثقة ثبت، له ترجمة في تذكرة الحفاظ للذهبي ٢/ ٥٧٤.

(٤) معنى «قط»: حسبي وكفاني ما أُلقي فيَّ فليس فيَّ متسع، وهذا الحديث هو الذي قبله وهو أيضاً ما بعده.

٣ ـ حدثنا أبو الحسن محمد بن عبد الله بن زكريا النيسابوري بمصر، حدثنا أبو عبد الرحمٰن أحمد بن شعيب النسائي، أخبرنا محمد بن عمر بن علي بن مقدم، حدثنا أشعث بن عبد الله، حدثنا شعبة، عن قتادة، عن أنس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**يُلقى في النار، وتقول: هل من مزيد؟ حتى يضع رجله أو قدمه فتقول: قط قط**».

٤ ـ حدثنا علي بن عبد الله بن ميسرة قال: حدثنا أبو الأشعث أحمد بن المقدام، حدثنا محمد بن عبد الرحمٰن الطفاوي، حدثنا أيوب، عن محمد، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**اختصمت الجنة والنار، فقالت النار: يدخلني الجبابرة والمتكبرون**[(١)]**، وقالت الجنة: يدخلني ضعفاء الناس وسقطهم**[(٢)]**، فقال الله جل وعز للنار: أنت عذابي أصيب بك من أشاء، وقال للجنة: أنت رحمتي أصيب بك من أشاء،**

---

(١) في الأصل: «المتكبرين».

(٢) في الأصل: «وسألهم». وفي رواية مسلم: «وغرتهم». وفي أخرى: «وعجزهم». و«مسقطهم» رواية البخاري. انظر: الفتح ١٣/ ٤٣٤.

ولكل واحدة منكما ملؤها، فإذا كان يوم القيامة لم يظلم الله ﷻ أحداً من خلقه شيئاً.

ويلقى في النار وتقول: هل من مزيد؟ حتى يضع تبارك وتعالى عليها قدمه: فهناك تمتلئ، وتنزوي بعضها على بعض وتقول: قط قط».

أخرجه مسلم عن عبد الله بن عون عن أبي سفيان المعمري بن محمد بن حميد، عن معمر، عن أيوب، عن محمد، عن أبي هريرة[١] هكذا.

٥ ـ حدثنا أبو عبد الله المعدل أحمد بن عمر بن عثمان بواسط، حدثنا عيسى بن أبي حرب، حدثنا يحيى بن أبي كثير، حدثنا عبد الغفار [بن] القاسم[٢]،

---

(١) أخرجه من عدة طرق وفيها بعض الاختلاف عما هنا. انظر: مسلم ص٢١٨٦، وأخرجه البخاري قريباً من لفظه هنا. انظر: الفتح ١٣/ ٤٣٤.

(٢) هو أبو مريم، رافضي رموه بالكذب ووضع الحديث. انظر: الميزان ٢/ ٦٤٠، ومتن الحديث صحيح ثابت من غير هذه الطريق، ومعنى قوله: «**فينزوي بعضها إلى بعض**»: أنها تتضايق على من فيها وتجتمع، فلا يبقى فيها متسع لغير من ألقي فيها.

قال: حدثني عدي بن ثابت، حدثني زر بن حبيش، عن أُبيّ بن كعب، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن جهنم تسأل المزيد، حتى يضع فيها قدمه، فينزوي بعضها إلى بعض وتقول: قط قط**».

٦ ـ حدثنا أبو حامد محمد بن هارون الحضرمي، حدثنا حمدان بن علي الوراق، حدثنا أبو سلمة، حدثنا حماد، حدثنا يونس بن عبيد، عن محمد عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ.

مثل حديث حدثناه أبو سلمة، حدثنا حماد، عن عطاء بن السائب، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن أبي سعيد الخدري، أن النبي ﷺ قال: «**افتخرت الجنة والنار، فقالت النار: يدخلني الجبابرة والملوك والأشراف، وقالت الجنة: يدخلني الفقراء والمساكين، فقال للنار: أنت عذابي أصيب بك من أشاء، وقال للجنة: أنت رحمتي وسعت كل شيء، ولكل واحدة منكما ملؤها. فأما النار فيلقى فيها وتقول: هل من مزيد؟ ثلاث مرات، حتى يأتيها ـ تبارك وتعالى ـ فيضع قدمه عليها، فتنزوي وتقول:**

قدني قدني»، إلا أن أبا هريرة قال: «عن النبي ﷺ: **قط قط»**[(١)].

٧ ـ حدثنا محمد بن مخلد، حدثنا محمد بن إسحاق الصاغاني، حدثنا حسن الأشيب، حدثنا حماد بن سلمة، عن يونس، عن عبيد، وأيوب السختياني، وحبيب ابن الشهيد، عن أبي هريرة، بمثل حديث حماد، عن عطاء بن السائب [عن عبد الله][(٢)] بن عبد الله بن عتبة، عن أبي سعيد، أن النبي ﷺ قال: «**افتخرت الجنة والنار**» ثم ذكر نحوه.

٨ ـ حدثنا محمد بن مخلد، وأبو طالب الحافظ، أحمد بن نصر، قال: حدثنا محمد [بن][(٣)]

---

(١) أخرجه بهذا اللفظ ابن خزيمة في التوحيد ١/ ٢١٤، ورواه الإمام أحمد في المسند ٣/ ١٣ وأصله في الصحيحين. انظر: البخاري، كتاب التوحيد، باب ما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾؛ ومسلم رقم (٢٨٤٦، ٢٨٤٧).

(٢) زيادة من السند السابق في الحديث قبله، وهو كذلك في تاريخ بغداد. وانظر: الميزان ٣/ ٦٨١.

(٣) استدراك من تاريخ بغداد. انظر ترجمته فيه ٣/ ١٤٣؛ وفي الميزان ٣/ ٦٨١.

غالب بن حرب، حدثنا عبد الرحمٰن بن سلام القرشي، حدثنا حماد بن سلمة، عن يونس بن عبيد، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة، وتقول: «**هل من مزيد؟**»[١].

٩ ـ حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد، أخبرنا[٢] الحسن بن سعيد بن عثمان، حدثنا أبي، حدثنا حصين بن مخارق، عن يونس بن عبيد، وداود بن أبي هند، وصالح المري، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «**لا تزال جهنم يلقى فيها، ونقول: هل من مزيد؟ حتى [يضع][٣] الجبار ـ تبارك وتعالى ـ فيها قدمه، فهنالك تنزوي، وتقول: قط قط**»[٤].

١٠ ـ حدثنا جعفر بن محمد بن يعقوب الصندلي، حدثنا الحسن بن محمد الزعفراني، حدثنا

---

(١) هذا هو الحديث رقم (٤).

(٢) في الأصل: «أنا» وهو اختصار «أخبرنا» كما هو معلوم في علم المصطلح.

(٣) ساقطة من الأصل.

(٤) هو الحديث السابق رقم (٤).

شبابة، حدثنا ورقاء عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**تحاجت الجنة والنار، فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين، والمتجبرين، وقالت الجنة: فما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم**[1]. **فقال الله ﷻ للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي، وقال للنار: أنت عذابي، أعذب بك من أشاء من عبادي، ولكل واحدة منكما ملؤها، فأما النار فلا تمتلئ، فيضع قدمه عليها، فتقول: قط قط فهنالك تمتلئ، ويزوي بعضها إلى بعض**».

أخرجه مسلم بن الحجاج، عن محمد بن رافع[2] عن شبابة، عن ورقاء، هكذا.

---

(١) في مسلم زيادة: «وعجزهم».

(٢) في الأصل: «نافع» والتصحيح من مسلم. انظر: صحيح مسلم ٤/٢١٨٦، وفيه تحاجَّت النار والجنة، وقد أخرجه من طرق عدة، وأخرجه البخاري. انظر: الفتح ٨/ ٥٩٥، وقوله للجنة: «أنت رحمتي»، أي: أنها أثر رحمته تعالى التي هي صفته، وقول الجنة والنار على ظاهره، ومعنى «أوثرت»: خصصت بذلك دون الجنة.

١١ ـ حدثنا محمد بن عبد الله الشافعي، حدثنا إسحاق[١] بن الحسن، حدثنا أبو سلمة موسى بن إسماعيل، حدثنا حماد بن سلمة [عن عمار بن][٢] أبي عمار عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ [يقول][٣]: «**يلقى في النار وتقول: هل من مزيد؟ مرتين، حتى يأتيها ـ تبارك وتعالى ـ فيضع قدمه فيها، وتنزوي، وتقول: قط قط**».

١٢ ـ حدثنا محمد بن عبد الله، حدثنا إسحاق بن الحسن، حدثنا أبو سلمة، حدثنا حماد، عن عطاء بن السائب، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن

---

(١) انظر ترجمته في: الميزان ١/ ١٩٠.

(٢) في الأصل: «حماد بن سلمة أبي عمار» وهو خطأ، وإنما هو عمار بن أبي عمار، كما في تهذيب الكمال وغيره. وحديثه هذا أخرجه ابن خزيمة في التوحيد ص٩٧. وانظر: المحققة ١/ ٢٢٣، ٢٢٥، وعمار بن أبي عمار هو الذي يروي عنه حماد بن سلمة. انظر: تهذيب التهذيب ٧/ ٤٠٤، وكنت في الطبعة الأولى قلت: إنه أبو عمار شداد بن عبد الله مولى أمير المؤمنين معاوية، فتبين لي أن ذلك خطأ وذلك بمراجعة كتب الرجال.

(٣) ليست في الأصل.

[أبي][(١)] سعيد الخدري ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**[افتخرت][(١)] الجنة والنار، فقالت النار: يا رب يدخلني الجبار[ون][(١)] والملوك والأشراف، [وقالت][(١)] الجنة: يا رب يدخلني الفقراء، والضعفاء والمساكين.**

فقال الله تعالى للنار: أنت عذابي أصيب بك من أشاء، وقال للجنة: أنت رحمتي وسعت كل شيء ولكل واحدة منكما ملؤها.

فأما النار فيلقى [فيها][(١)] فتقول: هل من مزيد؟ ثلاث مرات، حتى يأتيها ـ تبارك وتعالى ـ فيضع قدمه عليها فتنزوي وتقول: قدني قدني»[(٢)].

---

(١) الزيادة من التوحيد لابن خزيمة ١/ ٢٢٤ ـ ٢٢٥.

(٢) هذا هو الحديث رقم (٦)، وقد تقدم ذكر بعض من خرّجه.

وفي هذه الأحاديث إثبات الرِّجل والقدم صفة لله تعالى، وهي من صفات الذات كالوجه واليدين، والرجل والقدم بمعنى واحد، فالواجب اعتقاد ثبوت ذلك على ما يليق بعظمة الله ـ تعالى ـ وعلى ما يدل عليه ظاهر هذه الأحاديث ونحوها.

ولا يفهم منها أن الله تعالى ليس له إلا رجل واحدة، أو قدم واحدة تعالى وتقدس، لأن المقصود من هذه =

إثبات اليدين لله تعالى

١٣ ـ حدثنا أبو الفضل جعفر بن محمد بن يعقوب الهذلي، أخبرنا الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني، حدثنا شبابة بن سوار، حدثنا ورقاء، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة [رضي الله عنه]، عن النبي ﷺ قال: «**يمين الله ﷻ ملأى لا يغيضها نفقة**[1]

= الأحاديث بيان ما يفعله تعالى في جهنم عندما ينجز وعده بملئها، فيضع عليها قدمه، فينزوي بعضها على بعض وتتضايق على من فيها، وتقول: «قدني قدني» أي امتلأت، فليس فيَّ متسع لغير من هم فيها.
وليس المقصود منها ـ أي الأحاديث المذكورة في هذا الباب ـ ما لله من القدمين، وقد روي عن ابن عباس أنه قال: «الكرسي موضع القدمين، والعرش لا يقدر أحد قدره». رواه الحاكم في المستدرك وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. انظر: المستدرك ٢/ ٢٨٢ وروي مرفوعاً وفيه ضعف. وهذا الذي عليه السلف وأتباعهم أن الكرسي غير العرش، وأنه كالمرقاة إلى العرش، ومع ذلك، فهو أكبر من جميع المخلوقات، وهو بالنسبة إلى العرش صغير جداً، والمقصود أن الله موصوف بالقدمين على ما يليق بعظمته وكبريائه تعالى وتقدّس عما يقول الظالمون والجاهلون.

(١) في الأصل: «لا يغيضها شيء نفقة»، والظاهر أن لفظة: «شيء» زائدة.